مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٧:٢٦–٢٨؛ ٨: ١–٢)

يا إخوةُ إنَّنا يلائمنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا بارٌّ بلا شرٍّ ولا دنس متنزِّهٌ عن الخطأةِ قد صار أعلى من السموات* لا حاجةَ لهُ أن يُقرِّبَ كلَّ يوم مثلَ رؤساءِ الكهنةِ ذبائحَ عن خطاياهُ أولاً ثمَّ عن خطايا الشعب. لأنَّه قضى هذا مرَّةً واحدةً حين قرَّبَ نفسهُ* فإنَّ الناموسَ يقيمُ أناساً بهم الضُّعفُ رؤساءَ كهنةٍ. أمَّا كلمةُ القَسَمِ التي بعدَ الناموسِ فتقيمُ الإبنَ مكمَّلاً إلى الأبد* ورأسُ الكلام هو أنَّ لنا رئيسَ كهنةٍ مثلَ هذا قد جلسَ عن يمينِ عرشِ الجلالِ في السموات* وهو خادمُ الأقداسِ والمسكنِ الحقيقيِّ الذي نصبَهُ الربُّ لا إنسان.

الإنجيل

(لوقا ١٠:٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلِّمُ ماذا

موسم الميلاد

في ١٥ تشرين الثاني يبتدئ المؤمنون صوماً يمتد لأربعين يوماً تهيئة لميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد، يمتنع الصائمون خلاله عن أكل اللحم والحليب وسائر المنتجات الحيوانية، يُسمح لهم بتناول السمك والمنتجات البحرية ما عدا يومي الأربعاء والجمعة كما يُسمح بالفطور صباحاً.

نصوم هذا العام، كما في كل عام، لنتهيأ كي نكون مستعدين لاستقبال ملك الكل في مغارة قلوبنا. إنه المسيح الآتي من المشارق ليمنحنا من جديد ما خسرناه في السابق أي الحياة الأبدية. الصوم ينقّينا نفساً وجسداً لكي نتقبّل سر الخلاص الذي أعلنه رئيس الملاك جبرائيل لوالدة الإله في عيد البشارة الذي فيه نرنم «اليوم رأس خلاصنا، وظهور السر الذي منذ الدهور، لأن ابن الله يصير ابن البتول...».

لقد وعت الكنيسة أهميَّة حدث تجسّد الإله في تحقيق خلاص الجنس البشري. إنه المدماك الأول في بناء الله الخلاصي الذي كماله بالصليب المقدَّس. لذا ترسم أيقونة الميلاد في مذبح الكنيسة حيث يُحضِّر الكاهن الذبيحة الإلهية التي ستتحول إلى جسد الرب ودمه الكريمين في القداس الإلهي.

الذي وُلد في مغارة بيت لحم هو الذي عُلق على خشبة. أحد الآباء الروس يقارن بين ميلاد الرب وقيامته فيقول: «اضطجع يسوع في المزود في عهد أغسطس قيصر لكي يضطجع في قبر على عهد بيلاطس البنطي. دُفن في المعمودية لكي ينحدر بالصليب إلى الموت. سجد له رجال حكماء لكي تعبده كل الخليقة في انتصاره على الموت. لقد هيأ فصحُ مجيئه لفصح صليبه. فصح قيامته ابتدأ بفصح تجسده». بعض النسخ الروسية القديمة لكتاب التيبيكون (الإرشادات العامة حول إقامة الخدم الطقسيّة) تسمّي عيد الميلاد فصحاً وذلك لارتباط عيد الميلاد الوثيق بسر خلاصنا ونجاتنا من الموت.

العدد ٢٠٠٥/٤٦
الأحد ١٣ تشرين الثاني
تذكار أبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم رئيس أساقفة القسطنطينية
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر العاشر

نحن منطلقون لنحتفل بولادة الطفل الإنسان يسوع، لكننا على يقين بأنه هو نفسه الذي تجلّى على الصليب لاحقاً وظهر ابناً لله لما وطئ الموت. هذا الطفل المولود الذي تراه أعيننا ليس طفلاً عادياً، إنه «أعظم من هذا» (يو ١:٥٠). إنه كلمة الله

أعملُ لأرثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال لهُ ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجاب وقال أحببِ الربَّ إلهكَ من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلِّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال لهُ بالصواب أجبتَ. إعملْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزكّيَ نفسهُ فقال ليسوعَ ومن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدراً من أورشليمَ إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميّت* فاتّفقَ أنَّ كاهناً كان منحدراً في ذلك الطريق فأبصرَهُ وجاز من أمامه* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجاز من أمامه* ثمَّ إنَّ سامريًّا مسافراً مرَّ به فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليهِ وضمَّد جراحاته وصبَّ عليها زيتاً وخمراً وحمله على دابَّتهِ وأتى به إلى فندقٍ واعتنى بأمرهِ* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرجَ دينارَيْن وأعطاهما لصاحبِ الفندقِ وقال لهُ اعتنِ بأمرهِ. ومهما تُنفِقْ فوق هذا فأنا أدفعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تحسَبُ صارَ قريباً للذي وقعَ بين اللصوص* قال الذي صنعَ إليهِ الرحمةَ. فقال له يسوعُ امضِ فاصنعْ أنتَ أيضاً كذلك.

المتجسد «الذي إذ كان في صورة الله... آخذاً صورة عبدٍ في شبه الناس» (في ٢:٦-٧).

انطلاقة صوم الميلاد تترافق مع عيد الرسول فيليبس (١٤ ت٢) وهو من أوائل الذين دُعوا ليكونوا رُسلاً. بعد دعوته رأى نثنائيل فقال له: «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوعَ ابنَ يوسفَ الذي من الناصرةِ. فقالَ له نثنائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكن أن يكون شيءٌ صالحٌ. قال له فيليبس تعال وانظر» (يو١:٤٥-٤٦). ذهب نثنائيل معه، ولما رآه يسوع قال: «هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيه. قال لهُ نثنائيل من أين تعرفني؟ أجابَ يسوعُ وقالَ له: قبلَ أن دعاك فيليبسُ وأنت تحت التينةِ رأيتكَ. أجاب نثنائيل وقال له: يا معلّمُ أنتَ ابنُ اللهِ. أنتَ ملكُ إسرائيلَ» (يو ١: ٤٧-٤٩).

قصة نثنائيل هي قصة كل واحد منا. فقد ذهب هو ليرى ابن الناصرة، ابن النجار يوسف «الذي كتب عنه موسى» فوجده النبي والمعلم، المسيح ملك إسرائيل ابن الله. لقد تعرّف نثنائيل على يسوع تدريجياً. هكذا نحن علينا أن نأتي لرؤيةِ يسوعِ الإنسان، للتعرُّف عليه معلماً ونبياً. علينا أن نلتقي بابن مريم، ابن النجار الناصري. بعدها، عندما تتفتح عيوننا وتتطهَّر قلوبنا نستطيع أن نأتي ونرى «أعظم من هذا»: المعلم والنبي والملك وابن الله.

جميعنا مدعوون مع الرسول فيليبس لنأتي وننظر وإذا كانت لدينا الرغبة فبالتأكيد سوف نرى كما رأى أوائل الرسل أموراً أعظم مما نتوقع. سوف نرى «السماء مفتوحة وملائكةَ اللهِ يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو ١: ٥١).علينا أن نأتي لملاقاة يسوع لنتعرَّف عليه. إذا لم نأتِ لن نرى.

فمع الرسول فيليبس نبدأ صومنا لكي نكون مستعدين لننظر تجسد الرب ونحيا معه هذه الأيام المباركة.

الكهنوت عند القديس يوحنا الذهبي الفم

يُعتبر كتاب القديس يوحنا الذهبي الفم «في الكهنوت» من الأبحاث التي حظيت بشهرة عظيمة. يقع في ستّة أجزاء، وهو أكثر كتب القديس يوحنا انتشاراً، وقد وضعه في شكل حوار مع رجل اسمه باسيليوس.

في الجزء الأول يعرض الدافع إلى كتابته. فقد قرّر القديسان يوحنا وباسيليوس أن يشتركا في كل عمل يعملانه في حياتهما، وعندما قَبِل باسيليوس رتبة الكهنوت تراجع يوحنا عن قبولها وتحمّل مسؤوليّتها، فعاتبه باسيليوس، وراح يوحنا يدافع عن موقفه في هذا الجزء.

بعد كلام على محبَّة الله في الدعوة المقدَّسة، يعرض الجزء الثاني من الكتاب للصعوبات والأخطار التي ترافق الخدمة الرعائيّة والأسقفيّة. وفي الجزئين الثالث والرابع عرضٌ واسع لمسؤوليَّة الكاهن ولكيفيَّة القيام بها: حماية العذارى والأرامل، إشاعة العدل، الوعظ، الدفاع عن الإيمان، حسن التعامل مع الغير ومع أخطائهم. الجزء الخامس هو بمثابة دليل للواعظ يشرح فيه كيفيَّة التعليم وضرورة احتقار المديح وامتلاك ناصية الكلام، والهدف إرضاء الله. وفي الجزء السادس يقارن بين حياة الكاهن العمليّة وحياة المتوحّد التأملية، ويعتبر الأولى أعظم بما لا يقاس من الثانية؛ ففيما تنحصر مسؤولية الراهب في نفسه وفي خلاصه يكون

تأمل

... «وحمله على دابَّته» أي ان المسيح أخذ الجسد على عاتق ألوهيته وأصعده من الأرض إلى السماء، إلى الفندق العجيب الرحب، إلى هذه الكنيسة الجامعة. وسلّمه إلى صاحب الفندق، إلى بولس المغبوط، إلى عمود المسيحيين المضيف الأصيل، معطياً إياه دينارين، وعن طريق بولس وبواسطته لكل كنيسة أعطى رؤساء كهنة معلّمين وخداماً. دينارين أي العهد القديم والجديد قائلاً: اهتمّ بالشعب الذي يأتي من الأمم والذي اؤتمنت عليه داخل الكنيسة. لأن الناس مرضى مجرّحون بالخطايا داوهم واضعاً عليهم بمثابة المرهم الأقوال النبوية والتعاليم الإنجيلية معيداً صحتهم بإرشادات وتعزيات العهد القديم والجديد مقنعاً إيّاهم أن يقفوا بعيداً عن الخطيئة ويَدَعوا جانباً ضلالة الخطيئة. وإن بقوا هكذا بدون تقويم قيّدهم بأقوالك الشديدة. صِرْ لهم نموذجاً ومثالاً بأقوالك وأعمالك، بتصرفك، بإيمانك، بمحبتك، بوقارك، حتى يقتفوا آثارك ويتشبهوا

الكاهن مسؤولاً عن رعيّته ومسؤولاً أيضاً عن خطايا الآخرين في حين أن الراهب مسؤولٌ فقط عن نفسه. لذا يكون الكاهن بحاجة إلى علم أوفر وغيرة أشمل وقوّة أعظم وفضيلة أعمق وأرسخ. وهكذا تكون العقوبة التي تنزل بالكاهن المتخاذل والمتهاون فوق كلّ تقدير. لأجل كلّ هذه الأسباب يعتبر القديس يوحنا نفسه غير أهل لتحمّل المسؤوليات والمخاطر الملقاة على كاهل الكاهن أو الأسقف.

الخدمة عند القديس يوحنا هي الشهادة على محبّتنا للرب: «أتحبّني يا بطرس؟... نعم يا سيّد!... إرعَ خرافي» (يو ٢١:١٥). إظهار محبّتنا للربّ يكون بمحبّتنا للكنيسة التي اشتراها بدمه. إنها مهمّة جلّى لا يُدعى إلى الاضطلاع بها إلاّ قليلون من البشر. لذا لا ينبغي أن يُرفع إلى مقام الكهنوت إلاّ الذين يمتازون عن غيرهم بالفضائل. والمحبّة هي تمام كلّ فضيلة وبدونها لا تساوي كلّ الفضائل الباقية شيئاً، وقد وضع السيّد علامة التلمذة له في المحبّة: «بهذا يعرفُ الجميعُ أنّكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض» (يو ١٣: ٣٥). الكاهن يبذل نفسه على صورة سيّده، محبّة بالآخرين. هكذا يجب أن ننظر قبل كلّ شيء وفوق كلّ شيء إلى استحقاق المنتَخب بغض النظر عن صوت الرأي العام.

الكهنوت يمارَس على الأرض في الواقع ولكنّه فعلاً خدمة سماوية. لأجل هذا يجب أن يكون الكاهن من الطهارة والنقاوة كما لو كان يقطن السموات بين الطغمات الملائكية. الكاهن الذي هو من لحم ودم يقترب من الطبيعة المغبطة والروح النقيّ الطاهر ويتمّم الأسرار السامية. بيديّ الكاهن المقدّستين نستطيع الدخول إلى ملكوت السموات إذ نحصل على الولادة من جديد بالماء والروح، ونحصل على الحياة الأبديّة إذ نأكل جسد الرب ونشرب دمه. لقد أعطى الربُّ الكاهن السلطان على النفوس والأجساد على الأرض ولكنّ مفعول هذا السلطان يسري في السماء: إنّ ما يقرّره الكاهن على الأرض يُقرَّر في السماء، والحكم الذي يلفظه الخادم هنا يبرمه المعلّم في السماء.

مسؤوليّة الكاهن في رعايته لرعيّة المسيح تفوق بما لا يقاس مسؤوليّة راعي المخلوقات غير العاقلة. إنّ مسؤولية فقدان الأغنام الناطقة لا يعوّض عنها الكاهن إلاّ بنفسه. كما أن جهاده ليس ضدّ الذئاب والسارقين، بل ضدّ الأعداء غير المنظورين، ضدّ «أجنادِ الشرّ الروحيَّة في السماويَّات» (أف ٦: ١٢)، وضدّ الأعداء الذين يعملون في اللحم والدم: «أعمال الجسدِ ظاهرةٌ التي هي زنًى، عهارةٌ، نجاسةٌ، دعارةٌ، عبادةُ الأوثانِ، سِحرٌ، عداوةٌ، خِصامٌ، غَيرَةٌ، سَخطٌ، تحزُّبٌ، شِقاقٌ، بِدعةٌ، حسدٌ، قتلٌ، سُكرٌ، بَطَرٌ» (غلا ٥: ١٩–٢١). وفي حين أنّ أمراض الجسد يمكن اكتشافها بسهولة، إلاّ أنّ اكتشاف أمراض النفوس صعب. وإذا اكتُشفت فمعالجتها صعبة وهي تتوقّف على إرادة المريض. وبما أنه ليس في المسيحية إكراه للمرء على إصلاح نفسه، فالطريقة هي بالإقناع وليس بالقوّة. من هنا فإن الكاهن يحتاج إلى التمييز ووضوح الرؤية حتى يفحص كلّ شيء ويقدّره قبل أن يُقدم عليه حتى لا يذهب عمله سدًى. غير أن سعي الكاهن لا ينحصر فقط في معالجة أمراض النفوس، بل إنّ عليه مهمة أخرى، لا تقلّ شأناً عن هذه، هي أن يضمّ إلى جسد الكنيسة الأعضاء التي تنفصل عنها، وهذا يكلّف الكاهن جهداً كبيراً. بالمثابرة

بحياتك الفاضلة. وان فعلت ذلك، ان صرفت جهداً بأقوالك أو بأعمالك وإن أنفقت شيئاً إضافياً سوف أُعيد لك ذلك عند عودتي أي عند مجيئي الثاني. سوف أعطيك أجرة أتعابك. ولذلك يقول بولس الرسول «بشجاعة وعدهم بفرح كبير سوف أنفق من أجل المسيح وسوف أتعب من أجل نفوسكم» ويقصد بذلك تعليمه للأمم وخدمته البشارية. لأن هذا هو الذي يبني كنائس الله ويدعمهم.

يشفي الناس كلّهم ويوزّع ما هو مفيد لكل واحد ويرشد النفوس إلى الحياة الأبدية. يقول صرت الكل للكلّ من أجل خلاص الكلّ. هذا هو مضيف الكنيسة الحسن يضيف الكلّ ويهتم بالكلّ. لا يبعد الزاني، لا يرفض الوثني، لا يطرد الدنس والجاحد، يقبل الكل. يغسل الجراحات كالطبيب، ينظفها ويمسحها بالماء المتولّد باستمرار. يقدّم كلامه المضمّد كالخمر حتى لا ننجرّ وراء خطايا جهالتنا وسيئاتنا. هو يشفينا من جديد بتعزيته ويدهن نفسنا بالزيت.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وحدها يستطيع الكاهن أن يقتاد أبناءه إلى الحقيقة. لذا يجب أن لا يقبل المرء الكهنوت وليس عنده شيء من جوهر الكهنوت، والكهنوت هو العلم الذي يُعنى بالنفوس الخالدة.

أولى العوائق التي يصطدم بها الكاهن إنما هي محبّة المجد الباطل، والتي ينجم عنها الغضب والجبن والحسد وروح الخصومة والنميمة والوشايات والكذب والرياء والتآمر والتحامل على من لم يسئ إلينا، والفرح بسقطات خدّام القدسات، والحزن من نجاح الآخرين، ومحبة المديح، والتعطش إلى السمعة والوعظ الذي لا يُقصد به غالباً سوى إرضاء الجمهور، والتملّق الذميم، والغشوش الرديئة، واحتقار الفقراء، والبشاشة للأغنياء، والتعظّم الذي لا يخلو من مضرّة للآخرين، وفقدان الثقة والتواضع والتظاهر الكاذب الذي ليس في الحقيقة شيئاً، وفقدان الجرأة على التوبيخ والتأنيب.

من أهم الصفات اللازمة للكاهن تحرّر النفس من الطمع، وتحرّرها أيضاً من شهوة النفوذ والسلطة من وراء الكهنوت. ويجب على الكاهن أن يكون حذراً بصيراً، لأنّه لا يحيا لذاته، وأن يحذر من الحسد. إنّ التقوى لا تكفي للكاهن إذا لم تكن مقرونة بالفطنة والتمرّن على الأعمال وحسن الإدارة.

لا ينفع الكاهن تبرير ذاته في حال تقصيره بأنّه لم يسعَ إلى الكهنوت. فسواء أقدم الإنسان من نفسه على الكهنوت أم كان مدفوعاً من غيره، فلا مغفرة له في ما يخطئ. من أجل ذلك على رجل الكنيسة الذي كُلّف الاهتمام بأعضائها وتهيئتهم للصراع، لا ضدّ مصارعين منظورين بل ضدّ قوات خفيّة غير منظورة، أن يحفظ نفسه صحيحاً قويًّا.

ولأن الكاهن مؤتمن على هذه الخدمة فإن ما يُطلب منه لا يُطلب من أيّ مؤمن آخر، وأقلّ هفوة تُعتبر خطيئة كبيرة في نظر المؤمنين. عليه أن يكون كاملاً على صورة سيّده، وأن يكون مثالاً صالحاً به يُحتذى. بعد المثال الصالح لا يبقى للكاهن إلاّ وسيلة وحيدة ومورد واحد للشفاء هو التعليم بالكلام. فالكلام هو أداة طبيب النفوس. لذا على الكاهن أن ينشط إلى إغناء نفسه بكلام المسيح لكي يستطيع أيضاً أن يواجه الأعداء المختلفين، ومنهم الهراطقة، ومساعدة النفوس الضعيفة والمعذّبة بحب الاستطلاع المزيّف. غاية الكاهن أن ينجح بالمثال والكلام في اقتياد الذين علّمهم إلى الحياة الكاملة التي رسمها لنا المسيح: «مَن عمِلَ وعلّمَ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» (متى ٥: ١٩).

نفس الكاهن يجب أن تكون أنقى من أشعة الشمس حتى يتمكن الروح أن يسكن فيها. ويلزم الكاهن من الطهارة ما يفوق طهارة الرهبان. وكلّما كانت طهارته عظيمة، كلما كانت معرّضة لأنواع التجارب. فلكي يحفظها من كلّ أذيّة يلزمه سهرٌ متواصل وانتباه دائم.

إن الذي يجب أن يُختار للكهنوت هو ذاك الرجل الذي يحفظ نفسه سالمةً غير متزعزعة في فضائل الطهارة والصفاء والقداسة والصبر والقناعة وجميع الفضائل الرهبانيّة الأخرى، كما يحفظها الرهبان، وأحسن ممّا يحفظها الرهبان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb